بكلام وليس المراد بالامر الشان حتى يكون المراد انه من خلق الله تعالى فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات
بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ
الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك
سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح
فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه جل وعز واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه
في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك
العارض الغريب ورد على آدم عليه السلام وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى
ذاته فانه في جوار الرب تعالى وانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن
مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه جل وعز ومهما فعل ذلك
فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون
عن مقتضى طبعهم ومعطنه استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري
وهذه اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون
فانها تضرهم كما تضر روائح الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش
وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا
وعارفا وهي مبادي مقامات الانبيا واخر مقامات الاوليا اول مقامات الانبيا عليهم السلام ولنرجع الى الغرض
المقصود ان غرور الشيطان بان الاخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن
والمومنون بالسنتهم وعقايدهم اذا ضيعوا اوامر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات
والمعاصي فهم مشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان
يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم
اعترفوا بان الاخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال الله تعالى
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال النبي صلى الله عليه
وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا الاية فوعد المغفرة
في جميع كتاب الله تعالى منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهولا ايضا مغرورون اعني
المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا
دون الكارهين له خيفة لما بعده فهذا امثال الغرور بالدنيا من الكفار والمومنين جميعا ولنذكر للغرور
بالله تعالى مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار فمثاله قول بعضهم في انفسهم وفي
بالسنتهم انه ان كان لله من معاد فنحن احق به من غيرنا ونحن منه اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى

عنه من قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن
خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج
امراة على الف دينار واشترى بستانا بالف دينار وفي ذلك كله يعظه المومن ويقول اشتريت
قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا في الجنة واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة
لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه
الكافر ويقول ما هناك شي وما قيل ذلك الا مثل اكاذيب وان كان فليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذلك وصف
الله تعالى قول العاص بن وائل لاوتين مالا وولدا اذ قال الله تعالى ردا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا
وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجيته اتقاضاه فلم يقض فقلت اني اخذه في
الاخرة فقال اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك مالا وولدا فاقضيك منه فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا الاية وقال تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة
قائمة ولئن رجعت الى ربي الاية وهذا كله من الغرور بالله تعالى وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم
ينظرون مرة الى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الاخرة وينظرون مرة الى تاخير العذاب عنهم فيقيسون
عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون
الى المومنين وهم فقرا شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرون فيقولون اهولا من الله عليهم من بيننا ويقولون لو
كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل
محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في المستقبل كما قال الشاعر: لقد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي
وانما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله تعالى ومحبوب لما
احسن الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد اغتر
بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصاير يدل على الهوان ومثاله ان يكون عند
الرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه
ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله
ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب وياكل كلما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل انه عند سيده عزيز
محبوب كريم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه
وذلك محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا ورد
في الخبر فكان ارباب البصاير اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت
والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا انها كرامة
من الله تعالى واذا صرف عنهم الدنيا حزنوا وظنوا انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه اذ قال فاما الانسان اذا

Copyright © King Saud University